



دراسة بولس من زمن التوهج



ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

www.almadassupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير

فخرى لريم

العدد (5143) السنة التاسعة عشرة
- الخميس (10) آذار 2022

حسين سر ران

50 عاماً على الرحيل

توقعات عجيبه في حياة الراحل حسين مردان

عبد المنعم الجادر



ثمة نقاط في حياة بعض الناس قد لا تصدق.. لأنها تكون أشبه باستجلاء للغيب..

ومثل هذه النقاط في حياة الزميل الراحل المرحوم حسين مردان قد لا تصدق من قبل البعض.. لكنني لمستها طيلة ملازمتي له خلال ربع قرن أو أكثر.. والنقطة الأخيرة أحدثت دويًا رهيبًا في أعماقي على الأقل! -في الساعة الثانية من ظهر يوم 13-9-1972 كنا معًا الزميل الراحل وأنا.. وحديثنا كان عن الحياة وقصرها.. ويومها قال لي إنه متضايق من لا شيء.. وافترقنا على موعد في اليوم التالي.

وفي الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي إنساب صوت أحد الأخوان عبر أسلاك التليفون يقول لي أن ((أبو علي)) أصيب بنوبة قلبية وهو يرقد الآن في مؤسسة مدينة الطب.. وبعد ثمانية أيام تحسنت صحته وقال لي مبتسمًا:



-هذه المرة الأخيرة.. تأكد أنني سأموت!-

وبدعاية قلت ضاحكًا:

-تمامًا كما قلتها لألف مرة سابقة!-

-أبدًا.. هذه المرة الأخيرة.. وسأفارق الحياة.

وبعد عشرين يومًا انطفأت شمعة.. وانقطع وثره.. وغابت الشمس من حياته فانتقل إلى عالم آخر في الموعد الذي وقعه!.

هكذا بسهولة مات ((حسين مردان)). صاحب القلب الطيب.. وصاحب أغرب نقاط للتنبؤ.. منذ سنوات طوال!

يوم قدم ((حسين)) بغداد في الأربعينات قادمًا من قريته في أطراف ((بعقوبة)) لم يكن قد تجاوز السابعة عشرة.. لم يكن يحمل في رأسه أية آمانيات عراض.. أو أية أفكار لمغامرات طوال.. بضع قصائد وأراء كان راسه يضح بها بما حفظه عن ((كامو)).. و((بودلير)).. و((بايرون)) أو ((غوته)) و((نيتش)) مما ترجم لهم ولغيرهم للعربية.. ويضع هففات من ((معلقات)) العرب.. وما تركز ((للجواهري)) أو من ماثله من شعراء العربية من أبيات قصائد..

ويم صدرت له مجموعة ((قصائد عارية)) قال عنه حاكم جزاء بغداد الذي قدم أمامه لإصداره تلك المجموعة صرخ به قائلًا:

-إنك تشابه بودلير شعراً مكتشفاً!-

خطوات المدرسة الأولى!

المنتبوعون لحياة رواد المدرسة الشعرية الحديثة.. والمدرسة القصصية الحديثة.. والمدرسة الصحفية الحديثة فيما بين منتصف الأربعينات والخمسينات يعرفون أن

ثمة ((مقاه)) تارجحت مكانتها بين ((الشعبية)) و((الأرستقراطية)) كانت بمثابة ((مقرات)) لإبارز انفعالات ((فرسان)) هذه المدارس.. ومن هذه المقاهي كانت ((مقهى محمود)) في منطقة باب الشيخ.. و((مقهى التاج)) في منطقة الكسرة و((مقهى زناد)) في البتاوين و((مقهى أكرم)) في شارع الأمين وغيرها من المقاهي التي كانت تجمع ((رواد)) المدرسة الحديثة للشعر والقصة والصحافة.. ومنهم كان ((حسين مردان)) و((بدر شاكر السياب)) و((بلند الحيدري)) و((غائب طعمة فرمان)) و((كاظم جواد)) و((صفاء الحيدري)) وغيرهم.. ومن هذه المقاهي كانت قصائده الأولى.. كما كانت قصائد زملائه الآخرين!.

حب ونبوءات و.. موت!

الطيبة وحدها لم تكن مزية ((حسين مردان)) الوحيدة.. بل كانت الحب والوفاء من مزاياه أيضًا.. ويوم عمل في جريدة ((الأهالي)) اندفع في حبها بكل خفقات قلبه.. ويوم تعرضت لشبه اغلاق مرض حسين.. ولم يتمثل لشفاء حقيقي حتى انتهت المضايقات عن الجريدة.

وبعدها بسنوات لقيته في ((براغ)) صدفة.. وسألني عن الفترة التي سأمضيها هناك.. وعند إخباري أياه بأنني سأمضي بضعة أشهر قال لي أنك ستعود للوطن بعد أيام.. وصحت قولته، تلقيت برقية بوفاة ولدي.. وعدت إلى الوطن بعد أيام!.

السقطة النهائية!

في الساعة الثامنة والنصف من صباح يوم 14-9-1972 كان في دار الإذاعة يمرر أنامله فوق قرص التليفون ليتصل بصديق.. وفجأة سقط مغمى عليه.. وإلى مؤسسة مدينة الطب نقل.. وبعد أسبوع تحسنت صحته كثيرًا فنقل من قسم ((العناية المركزة بالقلب)) إلى الطابق الثامن للمؤسسة.. وذات يوم كنت أجلس عند رأسه وقد تماثل للشفاء.. وبابتسامة الطفل البريء قال لي بشبه ألم:

-هذه المرة الأخيرة.. تأكد أنني سأموت!-

وبدعاية قلت ضاحكًا:

-تمامًا كما قلتها لألف مرة سابقة!-

-أبدًا.. هذه المرة الأخيرة.. وسيكون ذلك في مقبّل الشهر المقبل!

اللحظات الأخيرة في حياته..

وبقيت حالته الصحية تسودها الراحة.. ويشرف عليها لفيف من أطباء المؤسسة منهم الدكتور إحصان البحراني ومجيد الشماع وعادل عبد الغفور ومصطفى سليم وحديد الشمري وحسين حبوش وحسان كيسو ووجدي جلال..

وقبل ثلاثة أيام من انطفاء شمعة شعر بأزمة في قلبه فنقل إلى قسم ((العناية المركزة بالقلب)).. عولج فارتاح..

وفي الساعة الثانية عشرة من ليلة 3-4/10/1972 حدثت له ما تسمى في عالم الطب حالة ((احتشاء العضلة القلبية)) صاحبته حالات عدم انتظام في خفقات القلب.. واستمرت حالته الصحية تسوء.. وتسوء.. وفي الساعة الثالثة والربع تمامًا من نفس الليلة توقف القلب الطيب عن الخفقان.. وتقطعت الأوتار المرنة في عالم البراءة والطيبة.. وتوقفت الخفقات نهائيًا.. وارتحل حسين مردان إلى عالم ثان توقع إنه سيلج في الأيام الأولى للشهر الجاري..

وفي الساعة الرابعة و45 دقيقة من مساء 4/10/1972 كانت ثمة دموع.. وارتعاشات شفاء.. ونشيج.. ومن الباب الرئيسية لاتحاد الأدباء العراقي سارت القافلة تودع ((أبو علي)) إلى مثواه الأخير في النجف الأشرف..

ج. الجمهورية ١٩٧٢





وكان منها عامل بناء، إلا أن غربته الوجودية كانت متجذرة في أعماقه، فسرّها بقوله: "كنت أقول لنفسي وأنا أضع الطابوق على صديري، ليكن، سأضع رجلي فوق الجميع، وبعد أيام جلست مع الشاعر الرصافي.

ثم التقى بجماعة (الوقت الضائع) وساهم في إصدار مجلاتها ومعه (بلند الحيدري، وإبراهيم البيّتم، وحسين هداوي، وعدنان رؤوف) وغيرهم. لم يكن دخول مردان عالم المجون والصعلكة اختياريًا ربما، وإنما قد يكون انسياقًا لاشعوري حيث وجد الشاعر فيه نفسه بعد أن تلبسته الغربة والعزلة والفاقة الحادة. عمل في مجال الصحافة مصححًا في جريدة (الأهالي) لسان الحزب الوطني الديمقراطي، وازداد شعوره بالأمان بعد أن تمكن من المكوث على سطح بناية الجريدة. كما هبّا له هذا العمل التعرف على عبد المجيد الوندائي، وغائب طعمة فرمان، والأستاذ عبد الملك نوري، "ومن هذه الأجواء بالذات ولدت الشخصيات الحقيقية لرواية (خمسة أصوات)" وبعد إغلاق الجريدة عاد مردان إلى حياة الشظف والعوز حتى أنه يقول: "في زمن ما بعثت سروالي لكي أسكر بتمنه. كان معي غائب طعمة فرمان، وعبد المجيد الوندائي.. هكذا شربنا البنطلون في كازينو بلقيس" تنقل بعدها بين الصحف العراقية فعمل بجريدة (البلاد)، وأشرف على الصفحة الأدبية في جريدة (الأخبار) ثم في (المستقبل)، ثم عمل محررًا في مجلة (ألف. باء)، وآخر وظائفه في المؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون العراقي معاونًا للمدير العام. فبات مردان بذلك مستويًا على سوقه، فكان يحق له أن يتزاحم مع هؤلاء الشعراء الذين كانوا على ضربه ويواجههم بأفكاره، ومن الأعمال التي أسندت إليه: عضوية الهيئة الإدارية لاتحاد الأدباء العراقيين بعد ثورة 14 تموز 1958م، وسافر إلى الكويت في نفس العام ضمن الوفد الممثل لاتحاد الأدباء بالعراق لحضور مؤتمر الأدباء العرب الرابع، واختير لتمثيل الاتحاد في مؤتمر السلم العالمي لنزع السلاح مؤتمر موسكو عام 1962م.

حسين مردان بين الغربة والتمرد

د. قحطان الفرج الله



«حين قرأت شعر مردان ومقالاته وجدت توجهها مختلفًا تمامًا عن التيار الذي كان سائدًا في زمنه سواء في الشعر العراقي أو الشعر العربي عامة، وهو اتجاه غرائبي وجودي سورريالي غاضب ساخط على الأوضاع الاجتماعية وساخط على نفسه أيضًا ويستخدم تقنيات شعرية جديدة أو مختلفة على الأقل لتجسيد هذه التجربة».

استطاع الشاعر حسين مردان أن يمارس حريته الفكرية والاعتقادية التي أدت به إلى السجن فطرح أفكاره معتمدًا على أيقونة الجسد والمرأة ولم يأبه لكل معارض اتهمه بالخروج السافر على قيم وحدود المجتمع، وراح يقترح الحل السليم للتخلص من الرقابة الفكرية، أو التقيد الصارم للأفكار فيقول: "الفنان حر في عرض أحاسيسه الداخلية فهو ليس كذلك في التعبير عن أحداث العالم الخارجي فهو في الحالة الأولى يعود بالأذى على نفسه فقط أما في الحالة الثانية فقد يسبب الضرر للآخرين. إذا فما هو الحل الصحيح لهذه المشكلة التي تشغل جميع أدباء العالم اليوم...؟ إن الحل الوحيد هو أن نضع مصير الفنان بين يديه وحده ثم نطلب منه شيئًا واحدًا هو أن يحمل الحقيقة دائمًا في قلبه" (1) هذه هي الفكرة التي ينطلق منها حسين مردان، إنها حرية الفكر التي تعتمد على حقائق ومبادئ وتدر التزييف والنفاق، والخداع والتستر وراء حجب الرذيلة المحتجبة بالسماء على حد قوله.

ولد في قضاء (طويريج) بمدينة الهندية التابعة لمحافظة بابل جنوب العراق عام 1927م، ولم نعر في الترجمات التي أطلعنا عليها على اليوم والشهر الذي ولد فيه، ومهما كتب المترجمون عن حسين مردان فإنهم لن يصلوا بنا إلى تجسيد نشاطه، والظروف التي تحيط بحياته، بالشكل الذي يصوره حسين مردان نفسه، ففي مقال أسماه حسين مردان: (مشروع مذكرات.. من أيام الطفولة) تحدث عن نشأته، وبدا في حديثه مشككًا، ويستدعي علامات التعجب، وذلك عندما يقول: "أنا لا أعرف اليوم الذي ولدت فيه، لذا لا أعرف عمري بالضبط، ويزعم دفتر النفوس أنني قد جئت إلى العالم سنة 1927 وهذا التاريخ موضع شك أيضًا، والأرض التي شاهدها وجهي لأول مرة تقع في قضاء - طويريج - وتدعى اليوم (الهندية)... ولا أعرف أصلي كذلك، فوالدي يزعم أنه من قبيلة العبيد ومن آل سلطان بالذات (أي من الشيوخ) أما أمي فتدعي أنها من عشيرة البيات، ولم أقم بأي تحقيق في الموضوع، فلم أكن أؤمن في يوم ما يمثل هذه الأمور، ولذلك لم أضف إلى اسمي أي لقب، كما هي العادة المتبعة عند البعض، وأعتقد شخصيًا أن جذور عائلتي تمتد إلى قوميات متعددة؛ فالشكل العام للملامحي، وعيني بصورة خاصة، يؤكد أن عروقي تحمل الدم العربي ممزوجًا بدماء الترك والكرد،

وأظن أن هناك دماء أخرى مغولية أو فارسية. ولعل هذا الخلط هو السبب في وجود هذا الكائن المتناقض الذي يدعى (حسين مردان).... قضيت السنين الأولى من طفولتي متنقلًا مع والدي بين مدن الفرات الأوسط، ثم انتقلنا إلى قضاء الخالص، وهناك دخلت المدرسة الابتدائية... يخيل لي، أنني لم أكن طفلًا في يوم من الأيام، فأنا لا أستطيع على الرغم من خيالي الواسع أن أتصور نفسي صغيرًا وابتنس لكل من يداعبني، وكل ما أتذكره من ذلك العهد هو مجموعة من الصور المتقطعة الباهتة... وترغم أمي أنني كنت في منتهى الوقاحة، وأني كنت سريع الغضب، وأحب التشرد في الأزقة، ولم أكن أحب اللعب إلا مع البنات، ومع ذلك فلم تحبني امرأة طيلة حياتي.. وأذكر أنني كنت من أمهر رماة الأحجار، وقد قتلت لقلقًا، وأحزنتي منظره وهو يلوب من الألم، ومنذ ذلك اليوم تركت هذه اللعبة اللعينة ولم أعد إليها إلا مرة واحدة في مدينة أستوكهولم في السويد، والعجيب أنني أصبت الهدف في هذه المرة أيضًا، ومُنحت جائزة جميلة وهي "فرارة من الورق" أهديتها لمرافقتي السويدية... أما بالنسبة لذاكرتي المدرسية، فقد كنت أود كافة الدروس عدا اللغة الإنكليزية، هذه اللغة التي أشعر بأشد الحاجة إليها الآن، وكذلك درس الحساب الذي كان عدوي اللدود، ولقد عاشت هذه العداوة إلى اليوم؛ بل أنا أكره حتى البنوك والآلات الحاسبة، كما أنني وبالتبعية بت أضيق بمعاشرة كل من له علاقة بدنيا الحساب والمحاسبة..

هكذا يصف حسين مردان طفولته ليترك لنا علامات استفهام كبيرة. فهو لا يهتم بمعرفة تاريخ ميلاده، وذكره على وفق ما جاء محري وقائع الميلاد من أنه ولد في سنة 1927م وصرح بعدم قناعته بما ذكره، فيعتبر ذلك محض زعم يشك في صدقه.

يدعوك حديثه للتعجب عندما يصف نفسه بما ترغمه أمه وبما يراه في نفسه، فذكر أنه وقح - كما زعمت أمه - سريع الغضب، محب للتشرد، منعزل عن أبناء جنسه من الذكور، فكان يلعب مع البنات، ومع كل هذا، فهو حنون يحزن لتألم اللقلق الذي اتخذ من قتله لعبة وصفها بأنها لعبة لعينة.

ترجم الكثيرون لهذه المرحلة من حياة مردان (مرحلة النشأة)، فذكروا بعضًا من ملامح حياته الخفية التي تتمم ما ذكره حسين مردان؛ فذكروا أن حسين مردان ولد لأب بسيط كان يعمل عريفًا في شرطة السكة الحديد، ثم تنقل حسين مردان مع والده في عدة مدن بحكم وظيفة أبيه، ثم استقر في مدينة الخالص "ديالي"، وقد أنهى حسين الابتدائية في مدينة بعقوبة وكان قد انتقل أبوه إليها، ثم هجر المدرسة في المرحلة المتوسطة (1)، وقد نشأ فقيرًا وكان لا يفصح كثيرًا عن ذلك، ولكن قصائده قد أفصحت، فتحدث عن الحرمان والبؤس والتشرد. وذكر من ترجم له أن حياة الفقر دعت إلى ترك المدرسة صبيًا، فهو في مقال آخر بعنوان: (قبضة الضوء والحزام) يكشف عن هذا، فيقول: "في السابعة قرأت (عنتره)، وفي

العاشرة نظمت أول بيت، وبدأت أمني تضايقي بأن لا بد من الانقطاع عن الأدب، وهكذا تركت المدرسة ثم بدأ الخصام مع العائلة، واضطرت إلى هجر البيت.

فيكشف لنا عن مدى ولعه بالأدب منذ الصغر حتى أن أمه ضايقته بسببه، فترك المدرسة وهجر البيت، في إشارة إلى أن ترك المدرسة وهجر البيت أحب إليه من الانقطاع عن الأدب وتنوقه، فهذا بالنسبة له أمر لا يمكن، فاستبدل بعد انقطاعه دروسه المدرسية بقراءة الكتب الأدبية والشعرية والقصصية، حتى أنه كان يقرأ الكتاب في ليلة واحدة، فتسجل ذاكرته أغلبه.. ومن هذا المنطلق بدأ شعوره يتبلور ويكشف عن موهبة شعرية وكتابية.

لعل سبب نبوغه في الأدب منذ الصغر: أن هذا النبوغ امتداد لنبوغه في اللغة العربية، بناء على ما ذكره بعض اصداق حسين مردان كان له حضورًا متميزًا في درس اللغة العربية في مرحلتي الابتدائية والمتوسطة قبل أن ينقطع عنها.

هجر حسين مردان الدراسة وعاش حياة العزلة والتشرد اتجه إلى بغداد سنة 1948م، لأداء الخدمة العسكرية الجبرية، حاملًا إرادة الإنسان الرافض والمتحدي لكل جمود المجتمع وتناقضاته، مثل نمطًا خاصًا جعل قياداته في الخدمة يميزونه بميزات خاصة، فكان لديه الوقت للقراءة، فازداد إعجابه بإلياس أبو شبكة، ويوبلير، وتعرف على سارتر ومصطلحاته، وعاش متشردًا، ففي الليل كان يلتحف الأُرصفة والحداثق، وفي النهار يرتاد المقاهي والحانات وخصوصًا مقهى (الزهاوي) ومقهى (واق واق) ليلتقي بأمثاله من الشباب المتمرد الغاضب ليحاوهم ويجادلهم بأفكاره التي تتزاحم في ذهنه "وبإمكاننا مقارنة عملية الهجرة بمرحلة المراهقة العاصفة والقلقة التي تنقل الفرد من الطفولة إلى النضج، مثل المهاجرين القابعين في زورق تتلاطمه الأمواج، والعواصف، وهو في طريقه إلى سبر أغوار عالم جديد" تأثر حسين مردان بمعيشته الضيقة، فامتتهن مختلف المهن،



ولد-إذا- في سنة 1927 او نهاية عام 1926، ولا يذكر من طفولته في طويريج والحلة شيئاً، ولكنه يذكر جيداً ما كان منها في الخالص من بعقوبة حيث استقر والده. ولم يكن تلميذاً موفقاً ولعله لم يكمل ((المتوسطة)) ولكنه كان متمرداً ومبكراً وقارئاً خارج الدرس، ولا سيما حينما استقر والده في بعقوبة نفسها. وقد نبت في المطبخ الأدبي، واقتنع في أن يصير شاعراً بارزاً جداً، ولابد من أن يصير مهما يكلف الأمر.



مع غائب طعمة فرمان

حسين مردان وأسرار السيرة الشعرية

د.علي جواد الطاهر



ويحدثنا عنه الذين عرفوه من الأدباء في بعقوبة تلميذاً أو تاركاً للمدرسة فيرون الكثير عن نهمه إلى القراءة، وعن أسئلة تفرقه يبحث لها عن أجوبة في الكتب على اختلافها ما بين الفلسفة المادية والكتاب المقدس. قرأ كل شيء، وكان يستعير من الأدباء ((الرزمة)) من الكتب بعد ((الرزمة)) لم يستثيرهم بأسئلته التي لا تنتهي وأحكامه المتطرفة.

وحين طلعت مجلة ((الكتاب المصري)) وما فيها- وفي غيرها- عن الوجودية هام بها وفهمها على طرازه الخاص وعد نفسه وجودياً. ثم لما وصلت إليه ترجمة من ((أزهار الشر)) لبودليير تمكنت من فكره ووجد نفسه في بودليير فأعلن نفسه بودليرياً.

ثم خضع إلى التجنيد الإجباري، وها هو ذا في جلولة لم يغير كثيراً من نهجه وما أسرع ما عرف المسؤولين نمطه فمنحوه امتيازات خاصة (بنظر مقال عبد المسيح ثروت عنه في مجلة ((الكلمة))- تشرين الثاني 1972).

ويلطفه طموحه الهجرة إلى بغداد، فجاءها في الأربعينات، ويحدد هو ذلك عام 1947 وينص على أنه كان في العشرين.

ولا يهمه كيف يعيش في بغداد، لأن همه الأول أن يكون أديباً شاعراً كبيراً، ولابد في سبيل ذلك من التضحية بكل شيء. ولقد كان يضحي ولا يحسب ما يأتيه وإنما يفعل ما يفعل استجابة للتمرد واستطابة لما يترتب على ذلك:

في السابق قرأت عنتره.. وفي العاشرة نظمت أول بيت. وبدأت أمني تضايقتني. لابد من الانقطاع إلى الأدب؛ وهكذا تركت المدرسة.. ثم بدأ

الخصام مع العائلة؛ واضطرت إلى هجر البيت. إلى أين.. أنا لا أملك غير رأسي؛ وإنه لرأس. وإني لقادر أن أشق الصخر بإصبعي وحملت عصاي وجئت إلى بغداد المدينة الغامضة المغلفة. وبعد يومين فقط دخل الفراغ إلى حبيبي (...) وذهبت مع السحر إلى سوق ((الفضل)) لأصبح من عمال البناء. كنت أقول لنفسي وأنا أضع الطابوق على صدري ليكن! سأضع رجلي فوق الجميع. وبعد أيام جلست مع الشاعر الرصافي ((...)).

و ألف حياة تشرد بمعنى الكلمة، جر إليه بلند الحيدري (وغيره)، وهو يكتفي للعيش بأقل القليل مما يشبع أو لا يشبع ويكسو أو لا يكسو ويؤوي أو لا يؤوي. وحين وجد معاش عامل مصحح في جريدة ((الأهالي)) عد ذلك فوزاً كبيراً...

وزادت قراءته، وزاد إعجابه بإلياس أبو شبكة وبودليير، وشرع يكسب وينظم، وأطأن إلى شاعريته أو ازجاد اطمئناناً إلى شاعريته وطراوزه الخاص فيها. وكان يلتقي بأمثاله من الشباب المتمرد الغاضب في المقاهي والحانات والبيوت ثم بمن عرف ((بجماعة الوقت الشائع)) ومقهى واق واق.

وها هو ذا يدخل إلى عالم الشعر في صخب ولجب وجراءة هي ضرب من وقاحة حين أصدر أواخر عام 1949 ديوانه الأول الذي سماه بما ينسجم وما هو فيه: ((قصائد عارية)) أهداه إلى نفسه في 26-11-1949:

لم أحب شيئاً مثلاً أحببت نفسي، فإلى المارد الجبار الملتف بثياب الضباب إلى الشاعر الثائر والمفكر الحر. إلى.. حسين مردان ((...)).

وخاطب القارئ أن ((...)) أن لا تفضلني على الرغم من قذارتني إلا بشيء واحد.. هو أنني أحيا عارياً بينما تحيا سائرنا ذلك بألف قناع. فنصيحة مني أن لا تقدم على قراءة هذا الديوان إذا كنت تخشى حقيقتك وتخاف رؤية الحيوان الرابض في أعماقك)).

وتدل هذه الكلمات- في أقل تقدير- على ثقته المطلقة بنفسه ووعيه بما يقول ويرمي إليه وكأنه

الذي ينطلق من وجهة نظر مختصرة منسجمة وكيانه مستحيلة فلسفة فيه تقيمه وتقعده. وشعره في ديوانه لا نقاش فيد صدقاً وعمقاً ودلالة على الموهبة وجدة في الصورة وعنفاً في التعبير ونفاذاً إلى الشعر العمودي بما لم يسبق إليه عنفاً ورغبة وتميزاً من أي آخر من شيوخ وشباب بشخصية لا تستعار.

وللفلسفة، أو حياة على الأصح، من هذا النوع ثمنها. وأقل ما ينهم بها صحابها: إفساد الأخلاق ولخروج على التقاليد ومن ثم لابد من مصادرة الديوان ومحاكمة الشاعر. وهو الذي حصل. ولكن المحكمة استمعت جيداً إلى دفاع المحامي واستعانت بلجنة من الأطباء وكأنها- في كل ذلك- تقف بوجه مشروع إلى جانب الشاعر وتنتهي إلى تبرئته. وهو ما حصل مع ما في الديوان مما يدعو إلى الشدة مع الشاعر وإلى وقوف المترمّتين بوجهه. ويكفي ما فيه من صراحة ((العري)).

وإذا ورد طعن في أخلاق الشعر فلم يرد مس بسلامة الشاعرية. وإذا تركنا كل شيء بقي صاحب الديوان شاعراً له من عنقه وجراءة صوره وجدة أفكاره دلائل على الأصالة. وهو مختلف في هذه الأصالة حتى عن ((أبو شبكة)) صاحب ((أفاعي الفردوس))، وبودليير صاحب ((أزهار الشر)).

وإذا الثقة معها في شيء من الروح أو الإخاء الروحي، فإنه تميز منمها بنفسه فهو حسين مردان من العراق، وهما واحد من لبنان وواحد من فرنسا. و ((قصائد عارية)) أكثر عرياً مما في الديوانين وأكثر صراحة في الخروج على المألوف الأخلاقي... وربما كان ما لقي ((أزهار الشر)) من منع ومحاكمة... في مطامح صاحب ((قصائد عارية)).

ثم لم يلبث أن اجتاز الأزمة. ومهما قيل في الدفاع عن الشاعر فإن شعره يقدمه على أنه كان يحيا تلك الحياة لدرجة الإغراق. ويبلغ في جبروته أقصاه: ((لن أحب إلا المرأة التي تحترق جميع الرجال وتسجد تحت قدمي أنا وحدي...)) وابن يجد هذه المرأة؟ ولماذا؟ وماذا فيه؟

وهيات الشاعرية- ولا أقول الجراءة وحدها- للديوان الانتشار وكثرة الفقراء، ويدخل في القراء مترمّتون يقرأونه سرّاً ويستطيعونه فنّاً!! لقد أثبت هذا المتشرد المتمرد أنه شاعر، وفتح هذا الشاعر لقومه أو لجيله الطريق إلى الجراءة بنوعيتها الأخلاقية والفني، وأقصد بقومه الشعراء الشباب خاصة، وأقصد بالفني إلى عنف الصورة خاصة. وإلا فهو عمودي، وإذا اختلف قليلاً- أو كثيراً- عن القصيدة التقليدية فبمقدار ما جدد أهل المهجر وعلي محمود طه وإلياس أبو شبكة...

لقد حقق الشاعر في أمره. ولك أن تقول أنه استطاب الشهرة، وأن تقول أنه كان جاداً في أمره، صادقاً في تصرفه مؤمناً بموقفه مطمئناً إلى ((فلسفته)). ولك أن تجمع بين العاملين أو أن ترجح الثاني. ولا أدل على ذلك أنه أصدر- في العام الذي أفرجت المحكمة عنه وعن ديوانه (1950)- قصيدته ((الحن الأسود)) في كراس خاص على المنهج الذي سارت عليه ((قصائد عارية)) ولم يكن للسلطة معدى من مصادر القصيدة وتقديم صاحبها إلى المحاكمة... وقد فعلت، إلا أن حسين مردان نجا هو وقصيدته هذه المرة كما نجا في المرة السابقة.

وفي نظرة إلى ((الحن الأسود)) يبدو حسين مردان كمن يبتز ((قصائد عارية)) مادة وشهرة مع إنه دونها في الشاعرية وفي كل شيء، وقد اتسم برود وتكلف واستحال ((نظماً)) ثم إنه صار يقول:

أشكو إليك برودة في أعظمي لا تستجيب إلى الهوى أحياناً وممت هو أكثر من هذا (ص80، ص82) ويقول (ص37):

كم ليلة قضيتها متسهداً كالكلب يلقي مرشفي قدميك فأين صار ذلك المارد السادي الجبار الذي يريد من المرأة أن تسجد على قدميه هو وحده؟! لقد تغيرت الحال: ومال إلى الضعف عموماً... أهو الشعب؟ أهو الملل؟ أم ماذا؟



مع كادر مجلة ألف باء

والعمل على قلب ذلك النظام الذي يستل شوق الإنسان إلى الحرية بالسجن والحراب)). زادت هذه السنة من السجن إصراراً على التغيير والاتجاه الوطني والفكر الإصلاحي الثوري. وقد أدى هذا الإصرار ثقافة تلقاها في السجن على يد مسجونين التقى بهم وقراءة ((ما يقرب من مائة ألف صفحة [! من الفلسفة الماركسية)) ((وانتقلت إلى الجانب الآخر من القضية)). وخرج من السجن ليزداد التزاماً بـ ((قضايا الشعب)).

وعاد إلى الاشتغال بالصحافة (جريدة صوت الأهالي) وإلى التأليف فأصدر سنة 1953 (٩) كتابه ((الربيع والجوع)) على نمط ((صور مرعبة)) في نثره المركز.

ان الاهتمام الوطني الاجتماعي وما يدل عليه من ثقافة وترفع عن الكسب الحرام واعتداد بالشخصية واختيار الفقر.. كل أولئك لا يعني التناكر لأشعاره الأولى ومواقفه من ((العري)) و ((التعري)) مما اختاره اختياراً لرأي وليس القصد في إشاعة الفساد والتحلل...

وقد يؤيد ذلك إصداره سنة 1955 طبعة ثانية من 0 (قصائد عارية) و ((اللحن الأسود)) في كتاب واحد. وقد لقيت هذه الطبعة رواجاً، فقد نفدت نسختها الـ 2000 سريعاً، وما كان أحد يجرؤ آنذاك أن يبلغ هذا العدد من نسخ الطبع. ومرت الطبعة بسلام...

والرجل يوسع من أفقه كل يوم تجربة وفكراً وأدباً وقراءة وكتابة متابعاً هواه فيما يعجبه ويستثيره ويؤيده ويعمق تجربته... وامتد أفقه إلى ((العهد القديم من الكتاب المقدس)) واستقره ((نشيد الإنشاد للملك سليمان)) بحيث رآه ((قصيدة من أروع قصائد الحب في الأدب القديمة)) ورأى الملك سليمان قلقاً في ظمأ روحي ((فهو من ناحية يشعر بحاجة إلى نوع من الجمال الحقيقي الذي يرضي خياله ويشبع روحه وجسده معا ويود من ناحية أخرى أن يكون الشخص الكامل الذي رسم صورته في أعماق شعوره)).

ولابد من أن يكون حسين مردان قد وجد في ((النشيد)) ((وسليمان)) أشياء غير واقعية أو يريد أن تقع له... وعالمه في طريقه وفي اللغة التي تجسد فيها هو عالم الشعر ولغة الشعر التي يفهمها ذواقه، يختلف عن ذوق قومه، مثله. وهذا بعض ما بعثه إلى أن يعيد صياغة ((نشيد الإنشاد)) نثراً شعرياً، ((مركزاً)) ويصدر عمله بهذا الاسم: نشيد الإنشاد (1955) في كراس مستقل.

وتسأل مرة أخرى: لماذا نشيد الإنشاد؟ وتجيب أن حسين مردان وقع عليه- وقد تكون لإلحاح أبو شبكة يد في ذلك فرأى فيه انسجاماً مع كيانه، و انسجاماً مطلقاً معه: مادة ومعنى، شكلاً ومضموناً، فيما هو كائن فيه وما يحمله إياه من نفسه، وما سبق أن جرّ من جنس انتهى فيه إلى نتيجة في نفسه وفي المرأة.

× مقدمة كتاب (من يرجع الصدى)



مع فوزي كريم

بالنثر المركز وبدا عليه تغير أو تعديل في الفكر. ولابد من أن يكون لاشتغاله في جريدة ((الأهالي)) - وهي جريدة ملتزمة بالديمقراطية- ولصداقته مع هيئة الجريدة والمحررين فيها أثر في التغيير زد على ما في جذور الرجل من فقر، وما في قلبه من طيبة، وما في نفسه من خير وتأثيره بالروح الوطنية السائدة.

ومضى به التغيير إلى الاهتمامات الوطنية العامة، ومضت به الاهتمامات الوطنية العامة إلى الاعتقال بعد انتفاضة تشرين 1952 فالتقديم إلى المجلس العرفي العسكري فالحكم عليه بـ ((كفالة)) على أن لا ينشر كتاباً لمدة سنة واحدة)). ((ولما يقدم الكفالة المطلوبة)) دخل السجن -سجن الكون الرهيب- أوائل سنة 1953، وفيه (بدأ التحول الكبير في مجرى حياتي الأدبية فقد أقسمت مع نفسي على السير في خدمة الشعب

والظفر بالمردود الممكن القريب، فأصدر في نهاية عام 1951 ((رجل الضباب)) قصيدة، ولكنه أصدرها ((عمودية)) أي أنه لم يلتزم ما دعاه بالنثر المركز. والقصيدة تمثل الخطوة الثانية التي آل فيها إلى ((الجد)) أو الظهور على حقيقته خلافاً لما يبدو للناس ولما يحكمون به عليه من التهتك فهو أف من متهمة ومزدرية، وهو مفكر حر القول بل وطني فائز يستهين بالسجن في سبيل الإصلاح، وإنه يتجرع لما يسود البلد من ظلم الحاكم والمستعمر ولما يرى في الناس من تواكل وخضوع على الرغم من بؤس الثورة التي يتنبا بها، ويستعد لها:..

... هذا أنا ((رجل الضباب)) ومن له

في كل موبقة حديث يُذكر

فليعلم المتزلفون إذا التوت

قدم على قدم باني أكبر...

وأصدر عام 1952 ((عزيزتي فلانة)) - رسالة

ويكتب في ((اللحن)): ((أه يا إلهي هبني قدرتك لحظة لأخلق المرأة التي تستطيع أن تفهمني)) وليس في العالم الذي يعيش فيه من تفكر أن تفهمه، ثم من هو؟

وابتعد قليلاً عن عالم العُري دون أن يبتعد كثيراً حين ((حاول أن يصور حياة الحشاشين ومتعاطي المخدرات)) فأصدر سنة 1951 كتابه ((صور مرعبة)) مع ملاحظة أن هذا العالم هو أحد عوالم بولدير في ((جنانه المصطنعة)) وفي نبذته وحشيشه، وأن الشاعر العراقي لم يقدم شعره على النمط العمودي أم شارع ينظم عليه عدد من الشباب باسم الشعر الحر قائماً في وزنه على التفعيلة، وإنما قدمه بنمط لعله لم يعرف له اسماً ولم يجد له اسماً لأنه شعر يأخذ صورة الشعر في روحه وصوره ولكنه ليس بالعمودي وليس بالتفعيلي، لأنه، في حقيقته، لا يجري على وزن مقرر فهو نثر إن شئت، وهو نثر في صورة شعر أو أية صفة أخرى يمكن أن تميزه بها...

وقد نجد في جذر هذا النمط ما سمعه حسين مردان أو قرأ أمثلة مترجمة منه... مما كان لبولدير -أجل، بولدير أيضاً- باسم poems prose (قصائد في نثر) أو (قصائد النثر) - إن شئت.

وإذا كان حسين مردان مبكراً فيه ومن رواه إن لم يكن رائداً، فيصعب أن يكون قد خلقه دون المام برائد سابق عليه، لا سيما إذا علمنا إمكان أن يكون هذا الرائد السابق عليه بولدير، وتذكرنا مكانة بولدير من مطلع حسين مردان ومزاجه.

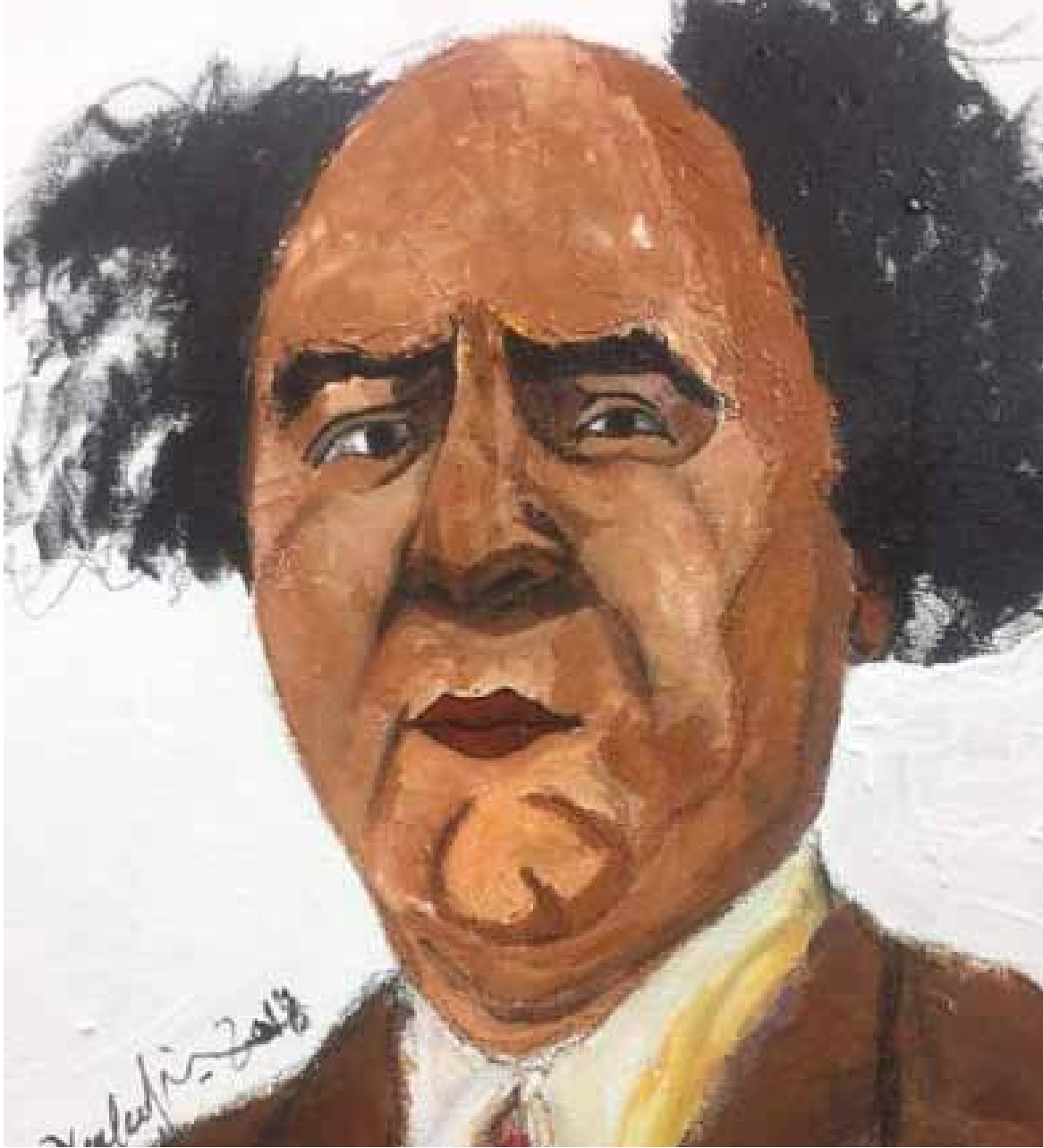
لقد نظم حسين مردان ((صور مرعبة)) على نمط لم يعرف له اسم فلم يسمع بعد ((بقصيدة النثر)) ولم يصل بعد إلى اسم ((النثر المركز)) ويقرر أنه ((خلقه خلقاً)) بمعنى أنه ذهب إليه دون سابق عليه من قدوة أو دعوة. ومع أننا نعرف سبق أمين الريحاني على ما سماه ((الشعر المنثور)) متابعاً والت وتمن، ثم كان الريحاني رأساً فيه، ثم صار عهد الريحاني بعيداً، وصار متابعوه وكأنهم لم يكونوا. والحقيقة أن الفارق ملحوظ، وحسين مردان أكثر شاعرية وأقل تكلفاً، وهو فيه سابق- كذلك- على ما عرف بقصيدة النثر وعلى مجلة ((شعر)) (وقد تأسست سنة 1957). وربما كان مصطلح ((قصيدة النثر)) الذي ورد فيها- لأول مرة- يرجع أساساً إلى العالم الذي تحدث فيه أدونيس مستعيناً- ومترجماً- بكتاب أو مقدمة كتاب- سوزان برنار ((قصيدة النثر)) الصادر بباريس سنة 1959).

وببقى-مع هذا- السؤال عن المصدر كما هو؟ وكيف يتسنى لأمرئٍ كحسين مردان أن يخلق ((النثر المركز)) خلقاً؟ ثم لابد من عودة إلى أخبار وصلت إليه عن بولدير... على أن حسين مردان يقرر- وهو يريد أن يحدد مهمته في الموضوع- أنه ((قد أدى الضيق بالوزن والقافية عند الشاعر المعاصر إلى نوع من التمرد والاتجاه إلى هذا النوع من النثر الفني، والذي شاع في عهد جبران وأمين الريحاني عن طريق ترجمة الشعر الأوربي على اللغة العربية. فعمل بعضهم على تطويره والاعتناء به لكي يأخذ شكل القصيدة من ناحية الاهتمام بوضع الكلمة وموسيقية الألفاظ واختصار الجمل وتركيزها، للاستعاضة عن الجهد الذي يبذل في القصيدة الموزونة. أما السبب الحقيقي الذي دفعني إلى كتابة هذا النوع من النثر فهو اكتشافني أن الوزن يحد من إظهار الحيوية النفسية ونقل العالم الباطني بصورة دقيقة)) ووضح أنه لا يعد ((النثر المركز)) شعراً رغم ما فيه من عناصر الشعر- (ولذلك أطلقت عليه اسم النثر المركز. في الوقت الذي كان ينبعث بالشعر المنثور...) -وتنر له مقالة ((النثر الشعري)) في كتابه ((الأزهار تورق...)).

واستطاب ((الكراسة)) وربما عاد ذلك إلى قلة ما تكلف من أجور الطبع وسهولة البيع والتوزيع

قصائد مردان العاربية

هادي الحسيني



بريشة الفنان حيدر سعد

سنوات طويلة مرت على رحيل الشاعر العراقي الكبير (حسين مردان)، الذي كان شاعراً مغايراً ومختلفاً عن أقرانه من الشعراء في كتابته للقصيدة وعشقه وفقره وبؤسه ومرحه عبر حياة الصعلكة التي عاشها. ومن مفارقات الشاعر أنه ولد في قضاء (طويريج) إحدى أقضية محافظة كربلاء عام 1927 وتوفي داخل العاصمة بغداد في 10/4 من عام 1972، انقلب الرقم رأساً على عقب ليشهد ولادة وموت الشاعر حسين مردان. عاش مردان حياة التشرد داخل العاصمة بغداد حين جاءها من مدينة بعقوبة التي عاش فيها بدايات شبابه الأولى، وعندما أصدر ديوانه الأول (قصائد عاربية) في عام 1949 تم اعتقاله ومحاكمته ومصادرة الديوان من قبل السلطات آنذاك جراء طروحاته الجريئة وضربه للقيم والأعراف التي كانت سائدة وتجاوزته للكثير من الخطوط الحمراء. الصحافة العراقية كتبت عن قصائد مردان العاربية في ديوانه الذي سجن من أجله بالسلب! لكن كتاباته الثرية في الصحافة أجمع عليها الكثير من النقاد بأن حسين مردان أول من كتب النثر المركز الذي يشبه إلى حد كبير قصيدة النثر التي نكتبها اليوم. ويعتبر من الرواد الأوائل في كتابة هذا النوع الشعري الذي أصبح سائداً منذ سنوات طويلة. لم أعاصر هذا الشاعر الكبير الذي أسمه حسين مردان لكن الذين عاصروه أرفشوا حياته وشعره وظل الشاعر مردان الغائب الحاضر. وروى القاص الكبير محمود عبد الوهاب إن لحسين مردان الكثير من الطرائف الجميلة في حياته وصادف أنه زار مدينة البصرة بعد ثورة تموز 1958 ويسنده في المشي الشاعر رشدي العامل، وعندما شاهده محمود عبد الوهاب على حالته هذه استغرب، فرد حسين مردان: (عيوني محمود أصابني داء الملوك في العهد الجمهوري!).

لقد أصدر الشاعر مردان العديد من المجاميع الشعرية بعد مجموعته الأولى (قصائد عاربية) منها: (رسالة من شاعر إلى رسام) و (العالم تنور) و (رجل الضباب) وثمة مجموعة أخرى لم يتطرق إليها النقاد هي بعنوان (الارجوحة هادئة الجبال) وقد صدرت عن منشورات (مكتبة النصر) من دون تحديد سنة نشرها، وساهم في رسم غلافها ولوحاتها الداخلية الفنانون: جواد سليم وشاكر حسن آل سعيد وخالد الرحال..

لم يحصل مردان على وظيفة حكومية بحياته لكنه في آخر أيامه تم تعيينه في القسم الثقافي للمؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون حين كان مديرها العام محمد سعيد الصحاف، وقبل أن يستلم مردان راتبه الأول رحل عن الدنيا..!

من جانبه كتب الشاعر العراقي فوزي كريم قصيدة رثاء عن الشاعر حسين مردان عندما كان حياً، القصيدة نشرت بمجلة الأدب في حينها، وعندما قرأ مردان قصيدة فوزي عنه عندما كانوا يجلسون في حديقة إتحاد الأدباء في ساحة الأندلس، قال حسين مردان لفوزي كريم: (أنتك ترثيني وأنا على قيد الحياة) وبعد فترة قصيرة مات حسين مردان..

في قصيدة الشاعر الكبير فوزي كريم وهي قصيدة تأبينية أسست للرثاء من خلال التركيز والتكثيف وتسليط الأضواء على شخصية الشاعر حسين مردان الإنسانية العالية والتي ميزته عن مجاليه، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تعمم القصيدة على شخصية أخرى

غير شخصية مردان، القصيدة فيها مفرداته وأماكنه وكل تفاصيله، وقد نجح فوزي كريم بعد سنوات بأن يجعل من الرثاء حياة أخرى لشاعر راحل، وإن أسم الشخصية المراثية عنواناً للقصيدة دون إضافة أو اسناد لصفة أو فعل، ومنح فاعلية لتشكيل المعنى المتعلق بالرثاء، عندما نقرأ القصيدة نشعر بوجود حسين مردان داخلها أو أنه يعيش معنا جراء حجم الحزن والألم الذي تحمله مردان، فيما القصيدة تصمت أمام موقف الفقدان الذي أفترضه كريم. يقول الشاعر الكبير فوزي كريم في قصيدة رثاء

صديقه الشاعر حسين مردان:

ياقطار الشمال

ياقطار الجنوب

ياقطاراً صدت بلون المحطة،

نمت، استرحت أمام البيوت،

هل تريد اسمه؟

اسمه في الهوية حسين مردان

واسمه في الشارع حسين مردان

واسمه في المقاهي الإله

واسمه حين يعتزل الناس أم.

ياحسين مردان

كيف تركت الباب مفتوحاً

والليل لم يبدأ

وكان السر مغضوحاً..

وفي ديوان الشاعر حسين مردان (قصائد عاربية) كتب لنفسه المقدمة وهو يخاطب فيها القارئ حيث يقول:

(إلى القارئ... إني لأضحك ببلاهة عجيبة كلما تخيلت وجهك العزيز وقد استحال إلى علامة استفهام ضخمة. وإني لأضحك ببلاهة أعجب كلما تصوّرتك وقد إستبد بك الغضب فرميت بكتابي بحق واشمئزاًز وعلى شفئك المرتجفتين ألف لعنة ولعنة. ولكن ثقي أنك لا تفضلني على الرغم من قذارتني إلا بشيء واحد هو أنني أحيا عارياً بينما تحيا ساتراً ذاك بألف قناع. فنصيحة مني أن لا تقدم على قراءة هذا الديوان إذا كنت تخشى حقيقتك وتخاف رؤية الحيوان الرابض في أعماقك!).

أما في إهداء الديوان فكتب مردان يقول:

الإهداء:

(لم أحب شيئاً مثلما أحببت نفسي، فإلى المارد

الجبار الملتف بثياب الضباب

إلى الشاعر الثائر والمفكر الحر.... إلى حسين

مردان

أرفع هذه الصرخات التي انبعثت من عروقه في

لحظات هائلة من حياته الرهيبة).

ح. مردان / بغداد 26 تشرين الثاني 1949

يقول الشاعر حسين مردان في مقاطع من قصائده

العاربية:

زرع الموت..

إبليس والكأس والمأخور أصحابي

نذرت للشبق المحموم أعصابي

من كل ريانة الفدين ضامرة

تجيد فهم الهوى بالظفر والناب..

وقع السياط على أردافها نغم

يفجر الهول من أعرافها السود

تكاد ترتجف الجدران صارخة

إذا تعرت هذا الجسم للدود..

صفراء تصطرع الثارات في دمه

من كل عرق بسم الأثم محتقن

تمتص من شفتي الروح في نهم

وتزرع الموت أسناناً على بدني..

تلتذ بالصفع لا بالثلم. عاهرة

في لحمها الغض إشباع محروم

تنن كالوحش مطعوناً إذا اشتبكت

ساقٍ بساقٍ ومحومٍ بمحموم..

أضمرها وبودي لو أمرقها

ليهدأ اللهب المسعور في كبدي

نشوى تنام على صدري مرددة

فديت يافوهة البركان من جسد..

دم ونار وأشلاء ممزقة

وأضلع صاخبات تشنكي التعبا

هذا هو الحب: جرح غائر ويد

خبيرة وصراع يعلك العصباء..

من أوراق حسين مردان السرية

شوقي يوسف بهنام



في قصيدته المعنونة "زرع الموت" يصور لنا حسين مردان ساديته التي يتلذذ بها ومن خلال صراعه مع شبقه الذي لا يرتوي . ويقدم تعليقا على القصيدة فيقول:

للحب طعم واحد، ولكن لكل امرأة أسلوبا في الحب واللذة الكبرى ليست في الحب نفسه ولكنها في الأسلوب.

معنى هذا ان الحب هو على شاكلة واحدة وان اختلفت المسميات، ويرى مردان ان لكل امرأة فهما خاصا للحب أو أسلوبا تعبر به عنه. فعدد الأساليب إن مرهون بعدد النساء !!، وذو الحظ السعيد هو من يعرف الأكثر من الأساليب من خلال نساء كثيرات. هذا ما يريد ان يقوله الشاعر لنا. ولكن يبقى الحب في مضمونه واحدا.

ويقول في القصيدة:-

إبليس والكأس والمأخور أصحابي
نذرت للشبق المحموم أعصابي
من كل ريانة التديين ضامرة
تجيد فن الهوى بالزفر والناب

تلك هي فلسفة حسين مردان في الحب وتلك هي نظريته عنه. والحب ان لم يقتزن بالجنس فلا يعد حبا بشكل من الأشكال. علاوة على الطابع العدواني له. فاللذة الجنسية ينبغي ان ترافق أو ترتبط بفعل الإيذاء على الشريك الجنسي، ونميل الى الظن ان الفعل السادي عند حسين مردان نتيجة لعدوانه أو لحقده أو ثورته على العالم وخصوصا النساء. ويرى الحفني ان الممارسات السادية قد ترتبط باتجاهات عنيفة ضد الجنس بوصفه فعلا خاطئا وعملا لا أخلاقيا، وقد يحتمي السادي بها ضد رفضه للجنس وعجزه عن فهم الأسباب الحقيقية الكامنة وراء ذلك، وهي تمكنه في نفس الوقت من تحقيق ومعاينة الشخص الآخر لتورطه في السلوك الجنسي... وقد ينمو السلوك السادي من خبرات سابقة ارتبطت فيها الإثارة الجنسية بالألم، وقد تقوم هذه الارتباطات في ظل ظروف متنوعة، فقد يحدث خلال عملية التطور الجنسي ان تكون للكثير من الأطفال أفكار خاطئة عن حقيقة العلاقة بين الرجل والمرأة أو بين الذكر والأنثى عموما، يغذيها ما يشاهدونه في الطبيعة بين الحيوانات والطيور، والقصص والحوادث التي يقرأونها، والأفلام التي يشاهدونها في التلفزيون والحافلة بالتعديت على النساء، وما يرونه يوميا من مشاهد التعذيب والقسوة التي ينزلها بعض الأفراد بالحيوانات أو الناس، وما يثيره ذلك من انفعالات قوية واستثارات جنسية غير مقصودة. وقد يلجأ السادي إلى أفعال معينة تكون بمثابة الطقوس يأتيها لإراديها ويراعيها حرقيا كلما أتى إحدى النساء، وقد تفقد هذه الطقوس فاعليتها بالتقدم فيقلع السادي عنها أو يلجأ مضطرا إلى ما هو اشد فاعلية منها ليحصل على الإشباع الجنسي الذي يحتاجه.. وفي هذا المقطع إشارة الى استخدام الزفر والناب في فعل الهوى.. أي الفعل الجنسي. تقول مارزانو عن رمزية الأسنان على وجه العموم "هناك وظيفة استخدام مغايرة تماما ترى في الإنسان تتمثل في وسيلة للدفاع عن النفس والعدوان والتهديد. كتب شكسبير في "هنري السادس" قائلا: "إن لم نستطع استخدام حجارة، لنجأ إلى أسناننا". هناك كتاب عن الدفاع عن النفس حديث يذكرنا أنه في مشاجرة، إذا وجدنا أن أيدينا مجمدة، ويجب أن نعض، ما دامت الأسنان تفيد في الدفاع عن النفس أيضا" زد على ذلك، انه يقال "بأنه مسلح حتى أسنانه"، أي مدمج بالسلاح، وهناك تراث من الصور يصور

عن طيب خاطر قرصانا وسكينة بين أسنانه. غالبا ما نجد الأسنان كأداة هجومية في الأعمال المنحرفة، هذه السلوكات التي ليست موجهة ضد الشخص الذي أثارها، والعدوانية المنحرفة هي المثال الأكثر معرفة عن ذلك: في هذه الحالة تحرف العدوانية نحو جسم الشخص وإذا كانت الإرادة الجرحية الموجهة ضد الذات بإمكانها القيادة الى الانتحار، فيمكن للشخص في هذه المظاهر الأيسر ان يعرض بغضب شديد على شفقه السفلى" وفي المقطع التالي نرى ان حسين مردان يجسد تلك السادية بسلوك الضرب على الأرداف كوسيلة من وسائل الحصول على اللذة. يقول الشاعر:-
وقع السياط على إردافها نغم
يفجر الهول في أعراقها السود
تكاد ترتجف الجدران صارخة
إذا نعت: أهذا الجسم للدود؟!

يقول نيتشه: "أذهب أنت إلى امرأة. إذن فلا تنسى السوط". في هذا القول سادية ما بعدها سادية تجاه المرأة. ولا ادري هل استلهم حسين مردان هذا القول ووظفه في عبارته هنا. الا ان حسين مردان يذهب ابعد من قول نيتشه هذا. السوط أصبح بمثابة إيقاع موسيقي نغمي يزيد من فعالية الإثارة الجنسية عند المرأة كما سوف نلاحظ في قصيدته المعنونة "نهاية قبلية" في ما بعد. تلك هي وجهة نظر حسين مردان في هذه المسألة. وحسين مردان يجعل من جدران غرفته ان ترتجف متسائلة حين تتعري فتاته أو "عاهرته" بعبارته هو نفسه، كما سنرى ذلك في مقطع تالي.. هل هذا الجسم ماله الدود. انه سؤال مفعم بالألم والحزن. انه سؤال الحسرة والحيرة أمام مصير الجسد.. هذا الكائن الجميل العجيب. السياط، هنا، كما قلنا، أداة تفجير مهولة للغرائز والرغبات تعمل على شكل سلم موسيقي. ويستمر حسين مردان في وصفه لقسمات

عاهرته فيقول:-

صفراء تصطرع الثارت في دمه
من كل عرق بسم الإثم محتقن
تمتص من شفتي الروح في نهم
وتزرع الموت أسنانا على بدني

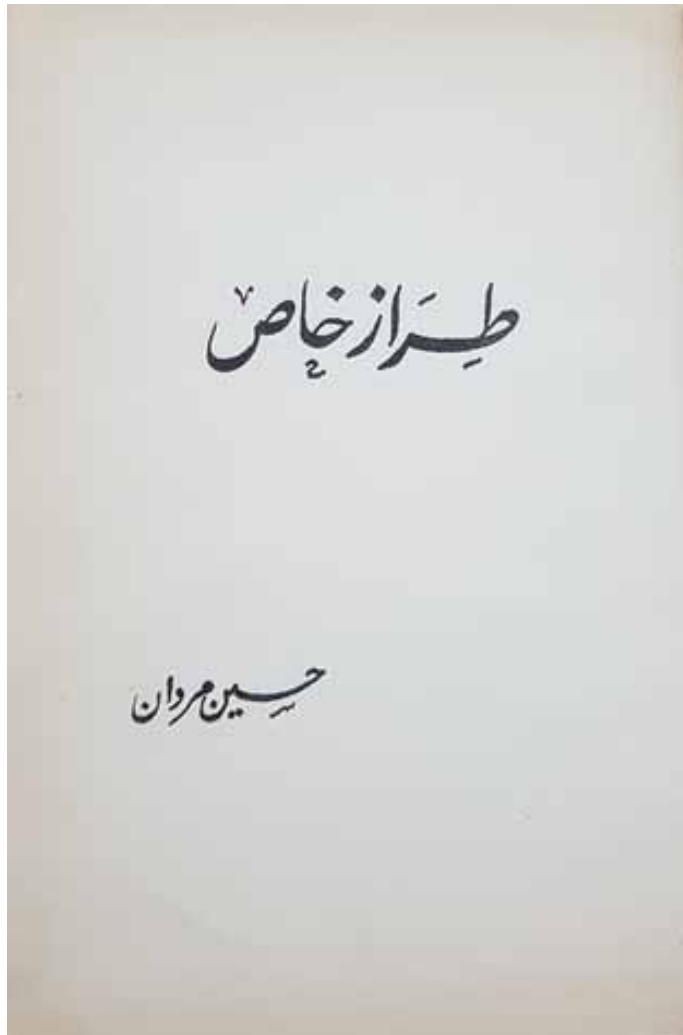
لنرى ما يخبرنا به الباحث اللبناني الدكتور خليل احمد خليل عن رمزية اللون الأصفر. يقول هذا الباحث "لون كثيف، عنفي وحاد حتى الإثارة؛ هو الأكثر حرارة والتهابا بين الألوان؛ يصعب إطفأؤه، ويخلع دائما الآخر الذي يراوده. انه لون الشمس، شعاعها الذي يخترق أثير السماء، معبرا عن اللوهم. في الاصفر يتماهى الذهب والشمس، الذهب والأثير اللذان يتصارعان فوق أديم الأرض، أديما نحن الذي يغدو أصفر بدوره، مع اقترابنا من الموت.

في ثنائي الأصفر - الأزرق، النور - الحياة، يكون الأصفر ذكرا، ميالا الى الوضوح، الى شقيقه الأبيض، ويكون حملا للشباب والقوة والخلود. انه لون الآلهة: زرادشت يعني النجم الذهبي الساطع، النجم الحي الحر.

النور الذهبي وسيلة اتصال في اتجاهين وسيط بين الناس والآلهة. حبل من الناس وحبل من الله.

تستعمل السكين الذهبية في الهند لذبح الحصان القرباني، وفي المكسيك يعتقد أن الأصفر هو لون الأرض، أديما الجديد في بداية فصل الأمطار. الأصفر لون الخلود، مثلما الذهب معدن الخلود. كلاهما أساسا الشعائر المسيحية (الصليب الذهبي، يوحنا فم الذهب: الأصفر والأبيض في علم الفاتيكان).

رمز خصوبة الأرض، وأيضا رمز الانحلال والشيخوخة تلك هي رمزيات اللون الأصفر في التراث الإنساني على وجه العموم. ولكن حسين مردان قد يوظف هذا اللون للإشارة على ارتباك فتاته أثناء الفعل الجنسي بوصفه خارج إطار النسق الاجتماعي



ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

مخزى ليرم

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الالكتروني
من خلال قراءة QR Code:



www.almadasupplements.com

Email: info@almadapaper.net

طبعت بمطابع مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

نص محاكمة حسين مردان حول ديوانه "قصائد عارية"

عن جريدة العالم العربي

”

في اليوم السادس والعشرين من حزيران 1950، عقدت محكمة جزاء بغداد الاولى جلستها الاولى لمحاكمة الشاعر حسين مردان عن ديوان قصائد عارية، وقد تقاطر عدد كبير من الادباء الشباب الى ساحة المحاكم لشهود هذه المحكمة.

“

ومن ثم توجه الحاكم الى المتهم ببعض الأسئلة، وتولى الشاعر الرد عليها، وكان بينها سؤال عن سر تسمية الشاعر لديوانه بـ "قصائد عارية". وقد رد على ذلك بقوله: إن الشاعر يجب أن يكون صريحا في تعبيره عما يختلج في نفسه. "ولم أتوخ في قصائدي إلا إظهار الحقائق عارية ليتبينها الناس".

ثم توجه الحاكم بسؤال عما إذا كان في الأدب العربي القديم صراحة في مثل هذا الموضوع. فعدله المتهم بعض الأمثلة، ثم أجلت المحكمة.

وفي الجلسة الثانية استمعت المحكمة الى دفاع وكيل الشاعر المحامي صفاء الـأورفلي:

الدفاع

سعادة حاكم جزاء بغداد المحترم

سابق موكلتي حسين مردان الى محكماتكم الموقرة وفق المادة 204 ق. ع. ب، وذلك لنشره قصائد نشرت تحت اسم قصائد عارية.

إن فعل موكلتي لا ينطبق على نص المادة 204 وذلك لأن ما نشره موكلتي ليس مخلا بالأدب، وليس القصد منه نشر أمور مخلة بالأدب بين الناس.

إن موكلتي رجل أديب، ولكل أديب طابعه الخاص. فهناك من يريد نشر الفضيلة بذكر ماهية الفضيلة، وهناك من يرى أن نشر الفضيلة قد يكون بالتطرق الى الرذيلة. وأمامنا قصة مدام بوفاري مؤلفها الكاتب الفرنسي جوستاف فلوبير، فقد أثارت هذه القضية أمام القضاء، وادعى الإدعاء العام على إنها قصة قصد مؤلفها عرض الرذيلة. إلا أن القضاء العادل لم يأخذ بهذا الرأي وأفرج عن المؤلف لسببين.

1. حسن نية المؤلف والناشر.

2. إعتبرت المحكمة نشر هذه الآراء وسيلة لتثقيم الناس معنى الفضيلة.

إن الأدب المكتشف فن كبقية الفنون، ولو لم يكن كذلك لما وجدناه يُدرّس في كلية الآداب للذكور والإناث على السواء، ولما وجدنا كتب الأدب العربي التي تُدرّس في مدارسنا تتطرق إليه، وتذكر نماذج منه، ولما وجدنا في مكتبات العالم وفي مكتباتنا العامة دواوين شعراء الأدب المكتشف...

قلت: إن الأدب المكتشف فن، كما ان فن النحت فن، وفن التصوير فن. وإننا لنجد في أسواق العراق وكل أسواق

مكتبة مفيدة من بعضها. فهل نشر هذه الكتب وبيعها ينطبق عليه نص المادة 204 من ق. ع. ب؟

إنني متأكد من أن الجواب على كل ذلك لا يكون بالنفي. وأعتقد بأن سعادة ممثل القضاء العادل يشاركني الرأي. وإنني لا أرى فرقا بين نشر قصائد الأدب المكتشف وبين نشر كتب علم النفس التي فيها أمثال كثيرة عن الشذوذ الجنسي. فالأدب المكتشف فن من الفنون، وعلم النفس علم من العلوم، وليس في نشر الأدب المكتشف، كما ليس فيما كتب من كتب علم النفس، تحريض على الفسق والفجور، وخصوصا والجريمة تنتفي مادام القصد الجنائي الذي هو تحريض الناس على الفسق والفجور بنشر أمور مخلة بالأدب معدوما.

والأدب المكتشف ليس بجديد، فلو رجعنا مئات السنين

العالم والبيوتات الراقية في العراق وغير العراق من أنحاء العالم تماثيل عارية لأجسام عارية، نحتها أو رسمها نحاتون عالميون. فإذا كان في كل ماذكرت مخالفة للأداب العامة فليتنفضل الإدعاء العام ويسق أساتذة المدارس ووزارة المعارف ومن عرض في محله التجاري تماثيل أو صورا عارية وفق المادة 204 من قانون العقوبات البغدادي. ولنترك الأدب والفن قليلا ونتصفح كتب علم النفس الجنائي التي تتطرق الى الأمراض النفسية، الجنسية منها وغير الجنسية، نر ما فيها من أمثال واقعية عن المصابين بالشذوذ الجنسي، ذكرت بصراحة متناهية. فهل تعتبر مثل هذه الكتب مخالفة للأداب...؟

إن هذه الكتب درسناها وتدرس لحد الآن، ولا تخلو



الى السوراء لو جدنا كتباً وقصائد ظهرت في زمن ازدهار الإسلام، في زمن كان للدين سطوته، ومع ذلك لم يقتصر قضية ذلك العهد من الشعراء الذين نظموا في الشعر المكتشف بل كان خلفاء ذلك العهد يتذوقون مثل تلك القصائد، ويكرمون الشعراء من أجلها.

هذا في الماضي، أما في وقتنا الحاضر فلو تجولنا في الأسواق لوجدنا الكثير من الكتب الحديثة التي فيها من الأدب المكتشف أكثر مما ذهب اليه موكلتي في قصائده. وهذا الكتب منها اللبنانية والمصرية والعراقية، كديوان أفاقي الفردوس للشاعر الياس أبو شبكة الذي أعيد طبعه سنة 1948، وديوان أغاريد الربيع للشاعر فؤاد بليبل الذي أجازت مديرية الدعاية العامة دخولها الى العراق وبيعها في الأسواق وكذلك نجد في ديوان الرصافي والزهاوي مثل هذا النوع من الشعر.

إن الادب المكتشف نوع من الأدب الراقى، فإذا كانت القصيدة من نوع الأدب المكتشف فلا يعني كون تلك القصيدة مخالفة للأداب، ولا يعني أن نشرها وتوزيعها يقصد منه نشر الرذيلة بين الناس.

إن موكلتي أراد أن يفهم الناس ماهية الرذيلة، فللرذيلة ستار برّاق يجلب من كانت تجاربه في الحياة قليلة، وإطلاعه على الرذيلة إطلاعا محدودا، فمتى ما اطلع قليل الدراية على مثل هذه القصائد التي صورت الرذيلة كما هي بصراحة متناهية، كاشفة الستار الجذاب عنها اشتمزت نفسه منها، وتمسك بالفضيلة، وهذا ما قصده موكلتي من نشر هذا الديوان موضوع الدعوى. فما أراد موكلتي من نشر هذه القصائد ليس نشر أمور مخلة بالأداب بل أراد محاربة الرذيلة عن طريق الرذيلة ذاتها. وقد يكون دواء الداء من نفس الداء. وعقده في ذلك كمثل الاستاذ الذي يؤلف كتابا في الشذوذ الجنسي، فليس ذلك المؤلف يريد بكتابه التحريض على ارتكاب جرائم الشذوذ الجنسي إنما يريد خدمة العلم. وموكلتي أراد من ديوانه خدمة الأدب العربي والمجتمع. وإضيف على ذلك مناقشة ناحيتين مهمتين: الاولى خاصة بالدستور ونصّه على أن دين الدولة هو الاسلام، فبالرغم من هذا النص، فإن المشرع العراقي إجاز للمصلحة العامة أمورا تخالف أحكام الدين الإسلامي كبيع الخمر والبغاء العلني. والناحية الثانية هي: هل يجوز للأديب أن يكتب ما يُعد تخطيا "لحدود المستوى العام العقلي للمجموع" وجوابه أن الأديب يكتب للمجموع الحالي كمنقذ ومفكر، وقد يسبق عصره بقرون. وما عالم الأدب بخاف على سعادة ممثل القضاء العادل.

لهذا أطلب من محكماتكم الموقرة الإفراج عن موكلتي.

المحامي: السيد صفاء الـأورفلي

وبعد ذلك قرر الحاكم أن تلجئ المحكمة الى لجنة أدبية من كبار أدباء العراق لغرض دراسة الديوان وتقديم تقرير عنه قبل صدور القرار.

وفي اليوم التاسع من شهر تموز عام 1950، عقدت المحكمة جلستها الثالثة، وبعد تلاوة قرار اللجنة الأدبية قررت المحكمة الإفراج عن الشاعر وديوانه.

القرار

لعدم توفر أركان الجريمة ضد المتهم السيد حسين مردان، قررت المحكمة الإفراج عنه وفق المادة 155 من قانون أصول المحاكمات وأفهم علنا. »

حاكم جزاء بغداد الاولى

26 تموز 1950 »

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

